

تفسير السعدي

2 ! @ 338 @ 2 ! بعونه ونصره وتأيدته . 2 2 ! أي : الثبات والطمأنينة ، والسكون المثبته للفؤاد ، ولهذا لما قلق صاحبه سكنه و ^ (قال لا تحزن إن الله معنا) . 2 2 ! وهي الملائكة الكرام ، الذين جعلهم الله حرسا له ، 2 2 ! أي : الساقطة المخدولة ، فإن الذين كفروا ، كانوا على حرد قادرين ، في ظنهم أنهم يقدرون على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذه ، حنقين عليه ، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك ، فخذلهم الله ، ولم يتم لهم مقصودهم ، بل ولا أدركوا شيئا منه . ونصر الله رسوله ، بدفعه عنه ، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع . فإن النصر على قسمين : نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم ، بأن يتم الله لهم ما طلبوا ، وقصدوا ، ويستولوا على عدوهم ، ويظهروا عليهم . والثاني : نصر المستضعف ، الذين طمع فيه عدوه القادر ، فنصر الله إياه ، أن يرد عنه عدوه ، ويدافع عنه ، ولعل هذا النصر أنفع النصرين ، ونصر الله رسوله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع . وقوله : 2 2 ! أي كلماته القدريّة ، وكلماته الدينيّة ، هي العالية على كلمة غيره ، التي من جملتها قوله : 22 ! ، 2 2 ! ، 2 2 ! ، فدين الله هو الظاهر العالي ، على سائر الأديان ، بالحجج الواضحة ، والآيات الباهرة والسلطان الناصر . 2 ! لا يغالبه مغالب ، ولا يفوته هارب . 2 2 ! يضع الأشياء مواضعها ، وقد يؤخر نصر حربه إلى وقت آخر ، اقتضته الحكمة الإلهية . وفي هذه الآية الكريمة ، فضيلة أبي بكر الصديق ، بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة ، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة ، والصحة الجميلة . وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة ، ولهذا عدوا من أنكروا صحبة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم ، كافرا لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها . وفيها فضيلة السكينة ، وأنها من تمام نعمة الله على العبد ، في أوقات الشدائد والمخاوف ، التي تطيش لها الأفئدة ، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه ، وثقته بوعده الصادق ، وبحسب إيمانه وشجاعته . وفيها : أن الحزن قد يعرض لخواص عباده الصديقين ، مع أن الأولى إذا نزل بالعبد أن يسعى في ذهابه عنه ، فإنه مضعف للقلب ، موهن للعزيمة . ^ (انفروا خفا واثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ول كن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون) ^ يقول تعالى لعباده المؤمنين مهيجا لهم على النفير في سبيله : 2 2 ! في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، والحر والبرد ، وفي جميع الأحوال . 2 2 ! أي : ابذلوا جهدكم في ذلك ، واستفرغوا وسعكم في

المال والنفس ، وفي هذا دليل على أنه كما يجب الجهاد في النفس يجب في المال ، حيث اقتضت الحاجة ، ودعت لذلك . ثم قال : ! 2 2 ! أي : الجهاد في النفس والمال ، خير لكم من التقاعد عن ذلك ، لأن فيه رضا الله تعالى ، والفوز بالدرجات العالية عنده ، والنصر لدين الله ، والدخول جملة جنده وحزبه . ! 2 2 ! خروجهم ! 2 2 ! أي : لطلب عرض قريب ، ومنفعة دنيوية ، سهلة التناول (و) ^ كان السفر ^ (سفرا قاصدا) ^ أي : قريبا سهلا ! 2 . ! 2 ! لعدم المشقة الكثيرة ، ! 2 2 ! أي : طالت عليهم المسافة ، وصعبت عليهم السفر ، فلذلك تفاقلوا عنك ، وليس هذا من أمارات العبودية ، بل العبد حقيقة ، هو المتعبد لربه في كل حال ، القائم بالعبادة السهلة والشاقة ، فهذا العبد الله على كل حال . ! 2 ! 2 ! أي : سيحلفون لتخلفهم عن الخروج ، أن لهم عذرا ، وأنهم لا يستطيعون ذلك . ! 2 ! 2 ! بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع ، ! 2 2 ! . وهذا العتاب ، إنما هو للمنافقين ، الذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في (غزوة تبوك) وأبدوا من الأعذار الكاذبة ما أبدوا ، فعفا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم بمجرد اعتذارهم ، من غير أن يمتحنهم ، فيتبين له الصادق من الكاذب ، ولهذا عاتبه الله على هذه المسارعة إلى قبول اعتذارهم فقال : ! 2 2 ! إلى قوله : ! 22 ! . ! 2 2 ! يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : ! 2 2 ! أي : سامحك ، وغفر لك ما أجريت . ! 2 2 ! في التخلف ! 2 ، ! 2 ! بأن تمتحنهم ، ليتبين لك الصادق من الكاذب ، فتعذر من يستحق العذر ، ممن لا يستحق ذلك . ثم أخبر أن المؤمنين بالله واليوم الآخر ، لا يستأذنون في ترك الجهاد ، بأموالهم وأنفسهم ، لأن ما معهم من الرغبة في الخير والإيمان ، يحملهم على الجهاد من غير أن يحثهم عليه حاث ،